

أضواء البيان

@ 299 @ بالباطل وكذبوه ، أن يقول لهم : ا[] أعلم بما تعملون . .

وهذا القول الذي أمر به تهديد لهم فقد تضمنت هذه الآية أمرين : .

أحدهما : أمر الرسول صلى ا[] عليه وسلم أن يهددهم بقوله : ا[] أعلم بما تعملون : أي من الكفر ، فمجازيكم عليه أشد الجزاء . .

الثاني : الإعراض عنهم ، وقد أشار تعالى للأمرين اللذين تضمنتهما هذه الآية في غير هذا الموضع . .

أما إعراضه عنهم عند تكذيبهم له بالجدال الباطل فمن المواضع التي أشير له فيها قوله تعالى { وَإِنْ كَذَّبْ بُوكَ فَقُلْ لِّيْ عَمَلًا وَلِيْ عَمَلًا كُمْ ؕ أَمْ لَكُمْ أَنْتُمْ بِرِئْءُونَ مِمَّا آتَاكُمْ لُ وَأَنْتُمْ بِرِءٍ مِّمَّا تَعْمَلُونَ } . .

وأما تهديدهم فقد أشار له في مواضع كقوله { هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفْعِلُونَ فَبِإِيْهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا ۚ بَيِّنَتِيْ وَبَيِّنَاتِكُمْ } وقوله { فَإِنْ كَذَّبْ بُوكَ فَقُلْ رَّبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ ۚ أَلَمْ تُجْرِمِينَ } فقله { وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ } فيه أشد الوعيد للمكذبين ، كما قال { وَيَلُوكَ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ } في مواضع متعددة ، وهم إنما يكذبونه بالجدال ، والخصام بالباطل . وقد أمره ا[] في غير هذا الموضع أن يجادلهم بالتي هي أحسن وذلك في قوله { وَجَادِلْهُمْ بِلَاَّتِي هِيَ ۖ أَحْسَنُ } وقوله { وَلَا تُجَادِلُوا ۚ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ ۖ أَحْسَنُ } وبين له أنهم لا يأتونه بمثل ليحتجوا عليه به بالباطل ، إلا جاءه ا[] بالحق الذي يدمغ ذلك الباطل ، مع كونه أحسن تفسيراً وكشفاً وإيضاحاً للحقائق وذلك في قوله { وَلَا يَأْتُوكَ بِمِثْلِ إِلَّا ۚ جِئْنَاكَ بِلَا حَقٍّ ۚ وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا } . .

قوله تعالى : { مَا قَدَرُوا ۚ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ } . أي : ما عظموه حتى عظمته حين عبدوا معه من لا يقدر على خلق ذباب ، وهو عاجز أن يسترد من الذباب ما سلبه الذباب منه ، كالطبيب الذي يجعلونه على أصنامهم ، إن سلبها الذباب منه شيئاً لا تقدر على استنقاذه منه ، وكونهم لم يعظموا ا[] حق عظمته ، ولم يعرفوه حق معرفته ، حيث عبدوا معه من لا يقدر على جلب نفع ، ولا دفع ضرر . ذكره تعالى في غير هذا الموضع كقوله في الأنعام { وَمَا قَدَرُوا ۚ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ إِذْ قَالُوا ۚ مَا أَنزَلَ اللَّهُ ۚ عَلَيَّ بَشَرًا مِّنْ شِدْءٍ } وكقوله في الزمر { وَمَا قَدَرُوا ۚ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۚ

